شرح
الدُّرَّة البَهيّة

((نظم الآجُرُّوميّة))

في أُصولِ علمِ اللُّغةِ العَربيّة

لشرف الدين يحيى بن موسى العمريطي

(ت بعد ٩٨٨ هـ)

بقلم
ماجد محمد الراغب

قدم له
د. محمود أبو الهدى الحسيني
د. محمد رجب ديب

دار العصماء

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1432 هـ 2012 م

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بكل طرق
الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل الحاسوبي.. وغيرها
إلا بإذن خطي من دار العصماء

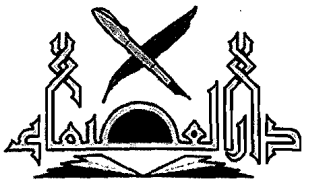

فرع أول: سورية - دمشق - برامكة - جانب دار الفكر
قبل دار التوليد - دخلة الحلبوني
هاتف: 2224279 - تلفاكس: 2457554
فرع ثاني: دمشق - ركن الدين - السوق التجاري
جانب مجمع الشيخ أحمد كفتارو
هاتف: 2770433 تلفاكس: 2752882
ص.ب: 36267 - موبايل: 0944/349434
E-mail:daralasma@gmail.com

الإهداء

إلى النبي العربي العظيم، الذي شرفت العربية بلسانه الناطق بهـا، والـذي أضاف إلى قاموسها من الفصاحة وأسرار البيان مـالم يكـن معهـوداً لـدى أصحابها..

سيدي محمد بن عبدالله رسول الله

وحبيبه ومصطفاه..

صلوات الله تعالى عليه والسلام

إلى جيل الفصاحة الأول، الذي تذوّق حلاوة كتـاب اللـه الأعظـم، القـرآن العربي المبين..

جيل الصحابة الكرام

والآل العظام

رضوان الله تعالى عليهم والسلام

إلى من كانا سبباً في وجودي ونشأتي.. والدي ووالدتي.

إلى من كانوا سبباً في تعلّمي ومعرفتي.. أساتذتي..

إلى أخواتي وإخوتي..

إلى طفلتيّ وزوجتي..

إلى أصحابي وأحبتي..

وإلى كل غيورٍ ـ على اللغة العربية ـ حمل القلم ونافح عنها ودافع..

إلى هؤلاء وأولئك أتقدم بهذا الجهد المتواضع هديةً.. ترجو القبول.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل النحو إلى معرفته سبب السلامة والنجاة..

والصلاة والسلام على أفصح أهل الأرض وأعذبهم لساناً، صاحب جوامع الكلم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

لما كان الذي لا يتم الواجب إلا به واجباً شرعياً أكيداً؛ كان علم النحو من الواجبات، فقد أرسل الله تعالى إلى العالمين الهداية بلسان رسول عربي كريم، وأنزل عليه كتاباً عربياً منيراً، ولا يمكن الوصول إلى معاني ذلك الكتاب الكريم، وتبيين هذا الرسول العظيم إلا بالنحو والإعراب.

وتعتبر (الآجرومية) من أبْين المتون وأسبقها، إذ حوت مبادئ النحو وقواعده، وكان للإمام شرف الدين العمريطي الشرف في نظمها شعراً، فجاءت بديعةً كالدّرّ المنضود، والطوق المعقود في جيد هذا العلم الكريم.

وقد أحسن أخي في الله الأستاذ (ماجد الراغب) إذ شرح تلك المنظومة شرحاً موضِّحاً، رجع فيه إلى الكتب المُؤصِّلة المعتمَدة في هذا العلم، فجزاه الله خيراً ونفع به وبكتابه البلاد والعباد.

واستغرق العمل في هذا الشرح وقته وجهده.

وإنني إذ أقدمه وأقدم كتابه للقارئ الكريم ألتمس لِمُقْتَني هذا الكتاب زيادة نفعٍ ومعرفة..

وفقنا الله تعالى جميعاً لما يرضيه، وجعلنا في زمرة المرضيين المقبولين، إنه تعالى نعم المجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محمود أبو الهدى الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق البيان، مُفصح اللسان بالسنَّة والقرآن، حمداً بعدد ما يتلفظ المخلوقات من حروف وكلمات.

وأفضل الصلاة وأتم السلام على النبي الأمِّي سيدنا محمد الذي ما نطق إلا بالحق، ولا تلفظ إلا بالصدق، وما عرف اللحن إلى لسانه سبيلاً، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أئمة المعارف والبيان وعلى أصحابه معادن الفصاحة وأعلام البلاغة، وعلى كل من نهج نهجهم القويم ظاهراً وباطناً إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن أمتنا امتازت عن غيرها من الأمم بخصيصة إلهية اختصَّها الله بها؛ ألا وهي نعمة القرآن الكريم الذي أراده الله لهذه الأمة قوام حياتها دنيا وآخرة، وسداد نطقها في هداية الأمم ودلالتهم على الخير والهدى، ومن هنا كانت لغة القرآن لغة كل من آمن به، وهي لغة العرب التي تضجُّ وتزخر بمفردات ومعان وأصول ومنطق وتعبير هيهات يرقى إلى مستواها لغة أو بيان.

ولقد أراد الله ـ تعالى ـ لهذه اللغة أن تكون لغة دين وتعبد، ولغة علم وحياة، ولغة حوار مع الآخرين، وأرادها لغة تستطيع أن تستوعب كلَّ مستجد، وبمعنى آخر فإنها ـ أعني لغتنا ـ تكاد تشبه الكائن الحي في مرونتها وتجاوبها مع كل العصور.

وانطلاقاً من كل ما لهذه اللغة من أهمية عظمى فقد صنَّفها علماء الشرع في إطار ما يتوجَّب على كل مسلم مكلَّف تعلُّمه، من خلال ما ورد في الحديث: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**». قال أهل العلم: أي على كل مسلم من ذكر وأنثى أن يطلب علم كذا وكذا ومن بينها اللغة.

وانطلاقاً من هذه الأهمية فقد عمد المسلمون منذ عصر الإسلام الأول إلى ضبط لغتنا بقواعد تحميها من تأثير الشعوب والأمم الوافدة إلى الإسلام، حتى يتأثَّروا بها ولا يؤثروا فيها، ولقد كانت نقطة البدء من سيدنا عليِّ بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ الذي قرَّر كلام العرب اسماً وفعلاً وحرفاً، موعزاً إلى أبي الأسود الدؤلي أن يبني على ذلك . وهذا ما كان.

ولا ننسى دور زياد بن أبيه فيما أمر به أبا الأسود أيضاً من تشكيل القرآن الكريم ليصان من لحن العجم والعامة.

يجدر بالذكر أن أبا الأسود أول مقعِّد للغة، وأن سيبويه تلميذ الخليل الفراهيدي أول من كتب كتاباً ضمَّنه قواعد النحو والصرف واسمه (الكتاب)، على أن سيبويه ليس عربياً، وكثير ممن تلاه من علماء النحو واللغة ليسوا عرباً، إلا أن القرآن الكريم عرَّبهم وشرَّفهم بلغته.

وإنه لمن أشد ما يحزن القلب في أيامنا الراهنة أننا قلما نسمع متحدِّثاً يتقن اللغة بغير لحن، من بعض خطباء الجمعة إلى كثير من المذيعين والمذيعات إلى عديد من المدرسين والمدرسات وغير ذلك كثير ممن تكاد اللغة تصيح ألماً منهم ومن أخطائهم الشنيعة التي لا تغتفر، وإنه لا عذر لعربي أن يخطئ في لغته وأبناء المشرق والمغرب يحاولون إتقانها من خلال إسلامهم ودراستهم لكتاب الله ـ تعالى ـ.

والعجب العجاب من أبناء العروبة أن يخطئوا ويلحنوا بلغتهم والمكتبات ملأى بالكتب المتخصصة بالنحو والصرف واللغة وكل ما يتعلَّق بعلومها.

وإن متن الآجرومية هو من أهمِّ ما كتب في نحو اللغة العربية، وهو مما يفترض على طالب العلم معرفته ودراسته بداية، ولقد اهتمَّ به أهل العلم دراسة وتدريساً، ثم طالعنا أخونا الباحث ماجد محمد الراغب بشرح نظم متن الأجرومية بلغة عصرية سلسة، هدفها تقديمها إلى طلاب العلم مائدة شهية ينهل منها كل من أراد تقويم لسانه وإنضاج بيانه، فجزاه الله خير الجزاء عن لغتنا الأم وعن طلبة العلم، والله أسأل أن يتقبّل منه وأن يمدَّه بمدد ليتحف مكتبتنا العربية أكثر وأكثر من كنوز هذه اللغة الرائعة التي تقول لنا:

أنا البحر في أعماقه الدر كائن فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي

وختاماً: أرجو الله التوفيق للباحث الفاضل ماجد محمد الراغب وأن يتقبل الله منه، وأن يهدينا جميعاً سبل الرشاد وأن يقوِّم ألسنتنا لنحسن هداية الخلق والعباد، فذلك المبتغى، ورضاء الله ثم رضاء رسوله هو المرتجى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. محمد رجب ديب

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان... ومدخل

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلغتنا العربية لنعقله، إذ هو القائل جل شأنه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. [يوسف: ٢].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبيّ الأمي، المعرب باللسان الفصيح عما في ضميره، من غير غرابة ولا تنافر ولا تعقيد، والآمر لنا بتعلّم العربية، إذ يقول: أعربوا الكلام، كي تعربوا القرآن.

وعلى آله وأصحابه، الذين سمت عندهم الفصاحة والبيان، فسهل عليهم فهم معاني القرآن.

وبعد؛

فهذا الكتاب الذي هو شرح لـ «الدرة البهيّة: نظم الآجروميّة» يعتبر الشرح الثاني لهذه المنظومة النحوية السنية.

فمن باب الأمانة العلمية، ومن باب ذكر فضل السابق أقول: إن منظومة شرف الدين يحيى بن موسى العمريطي، والتي هي كالشرح لـ «متن الآجرومية» في علم أصول اللغة العربية، قد شرحها سنة /١٢٢٩/ هجرية. العلامة الفاضل والقدوة الكامل الشيخ إبراهيم البيجوري رحمه الله تعالى. وقد جاء شرحه لها بخمسين صفحة من القطع الكبير، ويعلم الله عز وجل كم سررت عندما علمت أن المنظومة لها شرح قديم؛ فقد أسرعت إلى تصوير الشرح المذكور ذي الطبعة القديمة /١٣٢٢هـ/ وبدأت أقرؤه بشغف... أقرؤه وأوازن بينه وبين الشرح الذي كنت قد كتبته «قبل أن أطّلع على هذا الشرح البيجوري لها بمدة زمنية تقترب من العام».

وللحق أقول: لقد جنيت العديد من الفوائد من هذا الشرح، فعدّلت بعض ما في شرحي. وإنّ هذه الفوائد التي جنيتها لم أجدها في أي كتاب آخر من الكتب التي كنت قد رجعت إليها أثناء بحثي عن المعلومات المناسبة لشرح هذا «النظم العمريطي».

۞ ۞ ۞

والآن، وبعد هذا الكلام قد يقول قائل: إذا كان العلامة الفاضل إبراهيم البيجوري قد سبق إلى شرح «الدرة البهية» فما الفائدة من هذا الشرح الجديد؟

أقول:

أولاً: إن وجود أكثر من شرح لمنظومة واحدة ليس فيه أي ضرر، وهذا الأمر ليس بِدْعاً في بابه، فـ «ألفية ابن مالك» ـ مثلاً ـ لها أكثر من شرح، وقد تصدر لشرحها كبار النحويين، أمثال العلامة ابن هشام الأنصاري، والعلامة ابن عقيل رحمهما الله تعالى.

ثانياً: إن شرح البيجوري ـ رحمه الله ـ مكتوب بقلم القرن الثالث عشر الهجري، وتحديداً في ثلثه الأول. وهذا يعني أنه مكتوب بأسلوب يناسب طلاب العلم في ذلك العصر، ولا يناسبهم في القرن الخامس عشر الهجري، وهو الموافق للقرن العشرين الميلادي، وخليفته: القرن الحادي والعشرين.

إن عقليتنا النحوية في هذا العصر تحتاج إلى تبسيط في عرض القضية النحوية، تحتاج إلى وضوح في العبارة، وإلى رشاقة في سير الكلمات، ومن أجل ذلك كان يتحتّم على قلمي أن يكتب بأسلوب العصر الحديث. ولعلّ الواجب الأوّل والأهم لهذا القلم أن يسدّ الفراغ الموجود في الكتب النحوية القديمة، ألا وهو الافتقار إلى نماذج معربة إعراباً تفصيلياً لا إجمال فيه ولا تعقيد، إذ أن وجود الإجمال في الإعراب يستلزم وجود التعقيد، وهذا ما لم أقصّر فيه فيما أحسب.

وإني ـ وبغيةً لمزيد من التبسيط والتوضيح ـ قد استطردت كثيراً في كثير من المواضع، التي لا تحتملها كلمات البيت الشعري، متحملاً في ذلك النقد الذي يمكن أن يوجّه إليّ بسبب ذلك. وعندما كنت لا أجد مساحة الأبيات تتسع للاستطراد، كنت ألجأ في نهاية كثير من الأبحاث للعنونة بـ «ملاحظات» أو بـ «ملاحظات وأحكام عامة» أستدرك فيها ما هو في غاية الأهمية بالنسبة للبحث السابق المتعلق بها.

ثالثاً: إن شرح البيجوري ليس موجوداً في المكتبات ـ فيما أظن ـ فالنسخة التي عثرت عليها عند بعض الإخوة قديمة جداً /١٣٢٢هـ/، وهي تحتاج إلى تحقيق وإخراج عصري حديث حتى يتمكن طلاب العلم من الاستفادة منها. وإني أسأل الله عز وجل أن يوفقني إلى ذلك التحقيق المطلوب في أقرب الأوقات.

۞ ۞ ۞

بقي أن أقول: إن منظومة العمريطي (المتوفى بعد ٩٨٨ هـ) تبلغ (٢٥٤) بيتاً شعرياً، وقد ذكر فيها معظم الأبواب النحوية (لا كلّها)، لأنّ أصلها «متن الآجرّومية» كذلك.

وقد قلت في بداية المقدّمة: إن هذا النظم كالشرح للمتن، وهذا يعني أنه يزيد على المتن بكثير من الفوائد، إذ أن «متن الآجرومية» قد لا يزيد على (١٥) صفحة من القطع المتوسط.

وأخيراً: أسأل الله العظيم ـ الذي وفقني لإنجاز هذا الكتاب بفترة زمنية وجيزة لا تستغرق ثمانين يوماً، بفضله وكرمه ـ أسأله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله مصباحاً ذا شعاع وضّاء، يبدد ظلمة الطريق أمام روّاد اللغة العربية، لغة القرآن الكريم.

ماجد الراغب

تعريف موجز بالناظم:

هو شرف الدين يحيى بن موسى بن رمضان بن عميرة، فقيه شافعي، من العلماء، من قرية عمريط (شرقية مصر).

له مؤلفات منها:

١ـ تسهيل الطرقات في نظم الورقات (في الأصول).

٢ـ الدّرّة البهيّة نظم الآجرومية.

٣ـ التيسير نظم التحرير (في الفقه).

٤ـ نهاية التدريب نظم غاية التقريب للفشني.

توفي بعد ٩٨٨هـ ـ ١٥٨٠م.

/الأعلام/ للزركلي

١٧٥/٨

المقدّمة

١ــ الحمدُ للهِ الذي قدْ وَفَّقَا للعلمِ خيْرَ خلقِهِ وللتُّقَى

قوله: (**الحمد لله**) جملة ابتدأ بها لما ورد في الحديث الشريف: «**كل كتاب لا يُبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع**». أي ناقص، وقليل البركة.

والحمد لغة: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التبجيل والتعظيم، سواء كان في مقابلة نعمة أم لا.

واللام في (لله) للاستحقاق، وهي ما وقعت بين معنى وذات. و(ا لله) اسم للذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، ولذا لم يقل: الحمد للخالق أو للرازق ونحوهما؛ مما يُوهم اختصاص الحمد بوصف دون وصف. فقوله: ((لله)) إشارة إلى استحقاقه تعالى الحمد بكل وصف. وقوله:

(..... الذي قد وفقا للعلم خيرَ خلقه وللتُّقى)

يعني: الذي قد صَرَفَ همَّةَ من أراد توفيقه إلى العلم والتقوى؛ التي هي امتثال المأمورات واجتناب المنهيات. والمراد من التقوى العمل بالعلم.

فخير خلق ا لله من جمع بين العلم والتقوى، قال ا لله تعالى مادحاً أهل العلم: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال مادحاً أهل التقوى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣].

٢ـ حتى نَحَت قلوبُهُم لِنحْوِهِ فَمِنْ عظيمِ شأنِهِ لَمْ تحْوِهِ

لما صرف ا لله همة خير خلقه نحو العلم والتقوى اتجهت قلوبهم إليه تعالى دون سواه، اتجهت نحو العظمة الإلهية بجمالها وجلالها، ولكنها لم تستطع إدراك شأن ا لله العظيم؛ لتنزّهه عن أن يدركه مخلوق، قال ا لله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣].

٣ـ فأُشرِبَت معنى ضميرِ الشَّانِ فأَعرَبَتْ في الْحانِ بِالأَلْحانِ

ضمير الشأن هو الهاء في قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [محمد ١٩]، والمعنى: فاعلم أن الشأن لا إله إلاَّ الله.

فهذه القلوب التي أخلصت توجّهها إلى الله تعالى نالت درجة القرب، فسقاها الله تعالى من معاني كلمة التوحيد «لا إله إلاَّ الله»، فنطقت في محضَرِ القوم بألحان المحبة التي فاضت من قلوبهم فظهرت على ألسنتهم وأحوالهم.

٤ـ ثمَّ الصَّلاةُ معْ سلامٍ لائقِ علَى النَّبيِّ أفصحِ الخَلائقِ

قوله: (**ثمَّ الصَّلاةُ معْ سلامٍ**) ثمَّ للترتيب الرتبي، لأن حق الله مقدّم على حقّ المخلوق، فإنّ الحمدلة ثناء على الله تعالى، والصلاة والسلام ثناء على سيدنا رسول الله ﷺ.

وقد ذكرها الناظم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾. [الأحزاب: ٥٦].

والصلاة من الله تعالى رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن الآدميين تضرع، ودعاء بخير. والسلام يعني السلامة من النقائص، والمطلوب بهذه الجملة أمرٌ زائدٌ على ما حصل له في كلّ وقت من الصلاة والسّلام.

وقوله: (**لائق**) أي يليق بمكانته الرفيعة ﷺ.

قوله: (**على النَّبي**) ـ بالهمز ـ من النبأ. أي الخبر لأن النّبي مخبر عن الله ـ وبلا همز ـ وهو الأكثر، قيل: إنه مخفف المهموز فقلبت الهمزة ياءً. وقيل: إنه الأصل من النّبْوة أي الرّفعة؛ لأن النّبي مرفوع الرتبة على سائر الخلق. وهو إنسانٌ أُوحي إليه بشرع، وإن لم يؤمر بتبليغه، فإن أُمر بذلك فرسول أيضاً، فالنبي أعم منه مطلقاً.

قوله: (**أفصح الخَلائقِ**) بدل من النَّبي ومضاف إليه، ولا يكون الفصيح فصيحاً حتى يُعرب عن كلّ شيء ممَّا في ضميره من غير غرابةٍ ولا تنافر ولا تعقيد. وقد قال

عن نفسه ﷺ: «**أُوتيتُ جوامعَ الكلم**»، وقال أيضاً: «**أنا أفصحُ العرب**». ومعلوم أن العرب هم أفصح الناس، ولغتهم أشرف اللغات، فقد تبيّن لبعض الدارسين أنها اللغة الأعرق في الوجود، والأقدر على الدوام والخلود، وغيرها من اللغات مُعرّض لأن يموت.

وقال الإمام الشافعي: «لا يحيط باللغة إلا نبي»، ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أرفع الأنبياء قدراً في كلّ شيء حتى في الجمال. فجماله يزيد حتى على جمال نبي الله يوسُف عليه السلام، غير أنه مستور ببرقع الهيبة والكمال؛ كما أفاده بعض العارفين.

٥ ـ مُحَمَّدٍ والآلِ والأَصحابِ مَنْ أَتْقَنُوا القُرآنَ بالإعرَابِ

قوله: (**محمد**) بدل أو عطف بيان. وهو علم منقول من اسم المفعول المضعّف للمبالغة. يُقال لمن كثرت خصاله الحميدة: (مُحَمَّد). وسمّاه به جدّه عبد المطلب في سابع ولادته، فقيل له: لِمَ سمّيته محمداً وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟ فقال: رجوت أن يُحمدَ في السماء والأرض.

وقد حقق الله رجاءه.

قوله: (**والآل**) وهم مؤمنو بني هاشم والمطلب على الأصح.

وأصله: «أهل» لتصغيره على «أُهيل»، قلبت «الهاء» همزة، و«الهمزة» ألفاً.

وقيل: أصله «أَوَل» لتصغيره على «أُوَيل». قُلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ولا يستعمل إلا في الأشراف والعقلاء، بخلاف «أهل» الأول. وإنما قيل: «آل فرعون» لتصوره بصورة الأشراف.

قوله: (**والأصحاب**) هو جمع صَحِب، كفَرِح، مُخفف صحْب، أو هو اسم جمع صحْب. فهو ليس جمع صاحب، إذ لا يجمع فاعل على أفعال، ولا جمع صحْب لأن «فعْلاً» الصحيح العين لا يُجمع على أفعال، بخلاف المعتل فإنه يُجمع على أفعال، كثوب وأثواب، وبيت وأبيات.

والصحابي: كل من لقي سيدنا النبي ﷺ في عمره، مؤمناً به، ولو مرة، لقياً متعارفاً، ولو كان وقت الملاقاة قصيراً، ومات على ذلك.

قوله: (**مَنْ أَتْقنُوا القُرآنَ بالإِعرَابِ**) يعني أنهم أحسنوا فهم معاني القرآن، لأنهم كانوا أهل فصاحة وبلاغة وبيان، ولولا الإعراب لم يُعرف المراد.

٦ـ وبعدُ فاعْلمْ انَّه لَّما اقْتصرْ جُلّ الورى عَلَى الكلامِ المُخْتصرْ

قوله: (**وبعد**) كلمةجيء بها للانتقال من أسلوب إلى آخر. والواو فيها نائبة عن «أما» وأما نائبة عن «مهما»، وأصل الكلام: مهما يكن من شيء بعد الحمدلة والصلاة والسلام...

قوله: (**فاعلم**) إلخ. الفاء رابطة لجواب الشرط. وعلى هذا يُصبح معنى البيت: مهما يكن من شيء بعد الحمدلة والصلاة والسلام فاعلم أن معظم الناس لما ضعفت هممهم عن طلب العلم من المطولات، وآثروا الكلام المختصر، كان لا بدّ من الاختصار بما يُناسب أحوالهم.

٧ـ وكان مطلوباً أشدَّ الطلبِ منَ الورى حِفْظُ اللسانِ العرَبي

لما نزل القرآن الكريم أمر الرسول ﷺ بتعلم لغةِ القرآن العربية، فقال: «**أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن**»، وقال: «**رحم ا لله امرأً أصلح من لسانه**».

ولما اختلط العرب بالعجم نتيجة الفتوحات ودخول الناس في الدين الجديد خاف أولو الأمر من دخول اللحن إلى الألسنة، فاشتدوا في طلب المحافظة على اللغة سليمة من اللحن، فقد أخرج البيهقي عن عمر رضي ا لله عنه أنه قال: «تعلَّموا السنَّة والفرائض واللحن كما تعلَّمون القرآن»، وأخرج أيضاً أن ابن عباسٍ وابن عمر رضي ا لله عنه كانا يضربان أولادهما على اللحن.

وقد ورد أن أبا الأسود الدؤلي قال لسيدنا علي كرم ا لله وجهه: يا أمير المؤمنين: حدث في أولادنا ما لم نعرفه، وأخبره بقصة لحن ابنته في كلامها، فقال:

هذا بمخالطة العرب العجم، ثمَّ أمره فاشترى صحيفة وأملى عليه بعد أيام:

«أقسام الكلام ثلاثة: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى» وجملة من باب التعجب، وقال: انحُ نحو هذا، ثمَّ قال: تتبعه يا أبا الأسود وزد عليه ما وقع لك... إلخ.

٨ ـ كي يفهموا معانيَ القُرآنِ والسُّنَّةِ الدقيقةِ المعاني

فالغاية التي من أجلها اشتد الطلب على حفظ اللغة العربية، هي فهم معاني القرآن الكريم، والسّنة النبوية الشريفة؛ ولا سيما الخفية المعاني.

قال الجلال السيوطي في شرح ألفيته: وقد اتفق على أن النحو يحتاج إليه في كل فن من فنون العلم، لا سيما التفسير والحديث؛ فإنه لا يجوز لأحد أن يتكلم في كتاب الله حتى يكون مليّاً بالعربية؛ لأن القرآن عربي، لا تفهم مقاصده إلا بمعرفة قواعد العربية، وكذا الحديث.

وقال ابن الصلاح: ينبغي للمحدث ألا يروي حديثه بقراءة لحّان، ثم روى عن أبي داود أنه قال: سمعت الأصمعي يقول: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في قول النبي ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار**» لأنه لم يكن ﷺ يلحن. فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه.

وأخرج البيهقي عن أبي الزناد عن أبيه أنه قال: ما تزندق من تزندق بالمشرق، إلا جهلاً بكلام العرب.

٩ـ والنَّحوُ أَوْلى أوَّلاً أنْ يُعلَما إذِ الكلامُ دُونه لنْ يُفهما

النحو آلة فهم العلوم فمن تخلى عنها فليس بشيء، ولذلك كثر ذمّ اللحن، فقد أخرج أبو طاهر عن الشعبي أنه قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «لأن أقرأ وأسقط أحبّ إليّ من أقرأ وألحن». وأخرج البيهقي عن ابن المبارك انه قال: لا يقبل الرجل بنوع من العلوم ما لم يزيّن علمه بالعربية، على أنه ترافع رجل وأخوه إلى زياد في ميراث فقالا: إن أبونا مات، وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله، فقال

زياد في ميراث فقالا: إن أبونا مات، وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله، فقال زياد: إن الذي أضعت من نفسك أضرّ عليك مما أضعت من مالك، وأما القاضي فقال له: لا رحم الله أباك، ولا جبر عظم أخيك، قمْ في لعنة الله وحرّ سقر.

وقد جاء هذا الحكم من القاضي لأن المدعي أخطأ ثلاثة أخطاء نحوية في كلامه. فالخطأ الأول قوله: «إن أبونا» والصواب أن يقول: «إنّ أبانا»، والخطأ الثاني في قوله: «إنّ أخينا» والصواب أن يقول: «إنّ أخانا»، والخطأ الثالث قوله: «وثب على مال أبانا» والصواب أن يقول: «وثب على مال أبينا».

وقال بعضهم:

من فاته النحو فذاك الأخرسُ ... وفهمه في كل علم مفلِسُ

وقدره بين الورى موضوعُ ... وإنْ يناظر فهوَ المقطوعُ

لا يهتدي لحكمة في الذكرِ ... وما له في غامضٍ من فِكْرِ

١٠ـ وكان خيرُ كتبه الصغيره ... كُرَّاسةً لطيفةً شهيرهْ

١١ـ في عُربها وعُجْمها والرُّوم ... ألَّفها الحَبْرُ ابنُ آجُروم

وكان أفضل كتب النحو الصغيرة كراسةً صغيرة الحجم، ولكنها مشهورة عند العرب، وعند أهل المشرق والمغرب من العجم والرّوم.

وهذه الكراسة اللطيفة، من تأليف أبي عبد الله محمد بن داود الصنهاجي؛ نسبة إلى صنهاجة، وهي قبيلة بالمغرب نسب إليها، وكان من أهل فاس.

ومعنى آجرّوم بلغة البربر: الفقير الصوفي.

١٢ـ وانْتفعَت أجلّةٌ بِعلْمها ... معْ ما تراهُ من لطيفِ حَجْمِها

وقد استفاد من هذه الكراسة عددٌ من ذوي القدر في العلم، على الرغم من صغر حجمها، ويظهر ذلك من تعدد الشروح على هذه الكراسة، مثل شرح السيد أحمد زيني دحلان، وشرح الكفراوي، وغيرهما.

ولأهمية هذا الكتاب النحوي الصغير، نقلها الناظم من النثر إلى النظم الشعري، وقد أبدع في ذلك دون أن يبتعد عن الأصل في سهولته وإيجازه، من أجل إفادة المبتدئين في علم النحو. وقوله: «**بديعاً**» صفة للنظم. والبديع: هو الذي ليس على مثالٍ سبق.

١٤ـ وقد حذفت منه ما عنه غِنى وزدتـه فوائـداً بهـا الغنـى

وقد عمد الناظم إلى حذف كل قول مرجوحٍ لإمكانية الاستغناء عنه، وزاد ما لا بُدَّ منه من الفوائد؛ كالتوكيد اللفظي حيث قال:

وإن تؤكّـد كلمـةً أعدْتَهـا بلفظهـا كقولـك انتهـى انتهـى

١٥ـ متمّماً لغالب الأبوابِ فجاء مثل الشرح للكتابِ

فكان في نظمه هذا مستكملاً لمعظم الأبواب النحوية، فجاء وكأنه شرحٌ لما في كتاب ابن آجرّوم. ومعنى الشرح لغة: الكشف. واصطلاحاً: ألفاظ مخصوصة وضعت على ألفاظ مخصوصة على وجه مخصوص.

١٦ـ سئلت فيه من صديقٍ صادقِ يفهم قولي لاعتقادٍ واثق

وقد حملني على نظم كتاب الآجرّومية صديقٌ صادقٌ في الطلب، وهذا الصديق أهلٌ لفهم هذا النظم مني؛ لتصديقه لي وثقته بي. والصديق: هو من يفرح لفرحك ويحزن لحزنك، وضده العدو.

١٧ـ إذ الفتى حسبَ اعتقاده رُفِعْ وكلّ من لَمْ يعتقد لم ينتفع

حيث أن الفتى يرتفع قدره كلما قوي إيمانه وتصديقه. أما من لم يكن من ذوي الإيمان والتصديق، فلن يفوز بشيء من المنافع. فالاعتقاد به يحصل الارتفاع والانتفاع، والعكس بالعكس.

١٨ـ فنسأل المنَّان أن يُجيرنا منَ الرِّيا مضاعفاً أجورنا

فنطلب من الله أن يحفظنا من الوقوع في خطر الرياء (الذي هو العمل لغير الله) وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يضاعف لنا الأجر والثواب على هذا النظم، وعلى غيره من سائر الأعمال.

ومعنى المنَّان: كثير المنّ، وهو الإنعام، أو تعداد النّعم وهو بهذا المعنى صفة مدح في حقّه تعالى، صفة ذم في حقِّ غيره إلا ما استثني.

١٩ــ وأنْ يكونَ نافعاً بعلمه ... من اعتنى بحفظه وفهمه

وندعوه تعالى أن ينفع بالعلم الذي فيه الذي ساهم في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه. وقيد بفهم معانيه؛ لأن مجرد حفظ ألفاظه لا يجدي نفعاً.

باب الكلام

٢٠ـ كَلامُهُمْ لفْظٌ مُفيدٌ مُسْنَدُ والكِلْمةُ اللفظُ المُفيدُ المفردُ

للكلام معنيان: اصطلاحي، ولغوي.

فأما معناه في الاصطلاح النحوي: فهو اللفظ المفيد المسند.

فاللفظ: هو الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية، التي أولها الألف وآخرها الياء، وذلك نحو: «زيد» فإنه صوت اشتمل على الزاي والياء والدال؛ فإن لم يشتمل على بعض الحروف كصوت الطبل، فلا يسمى لفظاً، وكذلك إذا كان إشارة أو كتابة، فلا يسمّى شيءٌ من ذلك كلاماً عند النحويين.

والمفيد: هو من الإفادة بمعنى تحصيل الفائدة إن لم تكن حاصلة، والتفات النفس إليها إن كانت حاصلة. فقولنا: «القمرُ جميلٌ» كلامٌ مفيد. أما جملة الشرط، نحو: «إن قام زيد» فكلام لا يعدّ مفيداً؛ لأن الفائدة لا تتم إلا بالجواب، نحو: «يقم عمر».

والمسند: هو من الإسناد بمعنى ضم كلمة إلى أخرى على وجه يفيد؛ كضم الفعل إلى فاعله، نحو قوله تعالى: ﴿**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ**﴾. [الصافات: ٥١]، وضم الخبر إلى المبتدأ، نحو قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾. [الإخلاص: ٢].

أما مثال غير المسند، فمن المفرد نحو قولك: «زيد» ومن المركب الإضافي نحو قولك: «عبد الله» ومن المركب المزجي نحو قولك: «بعلبك».

وأما معنى الكلام في الاصطلاح اللغوي، فإنه يُطلق على ثلاثة أمور:

أحدها: **الحدث** الذي هو التكليم، نحو قولك: ((أعجبني كلامُك سعداً)) أي تكليمك إياه، ونحو قول الشاعر:

قالوا: كلامُك هنداً وهْيَ مُصغيةٌ يشفيكَ؟ قلتُ: صحيحٌ ذاك لو كانا

أي تكليمُك هنداً. وإذا استعمل بهذا المعنى عمل عمل الأفعال؛ فـ«كلامُك» مبتدأ ومضاف إليه، و«هنداً» مفعول به لاسم المصدر، و«يشفيك» جملة فعلية في محل رفع خبر.

والثاني: **حديث النفس**، نحو قول الأخطل:

إنّ الكلام لفي الفؤاد، وإنّما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

والثالث: ما تحصل به الفائدة، نحو: **الخط، والإشارة، ولسان الحال**. والدليل على ذلك في الخط قول العرب: «القلم أحد اللسانين»، وقول عائشة رضي الله عنها: «ما بين دفتي المصحف كلام الله»، والدليل عليه في الإشارة قوله تعالى: ﴿**آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً**﴾ [آل عمران: ٤١]، والدليل عليه فيما نطق به لسان الحال قول الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قَطْني ... مهلاً رويداً قد ملأت بطني

ومنه قول نصيب:

فعاجوا فأثْنَوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليه الحقائبُ

هذا ويجدر القول بأن صاحب النظم لم يذكر الكلام في معناه اللغوي، لأنه ليس مقصوداً، وقد ذكرته تبعاً للمعنى الاصطلاحي عند النحاة تتميماً للفائدة.

٢٠ - - - - - - - - - - - - والكِلْمةُ اللفظُ المُفيدُ المفردُ

٢١- لاسمٍ وفعلٍ ثمّ حرفٍ تنقسمْ ... وهذه ثلاثها وهيَ الكلِمْ

تعريف الكلمة: هي اللفظ المفيد المفرد. **فاللفظ**: هو الصوت المشتمل على بعض حروف الهجاء، نحو: «زيد» **والمفيد**: ضد المهمل؛ الذي هو نحو: «ديز» مقلوب المفيد «زيد»، **والمفرد**: هو ما تتلفّظ به مرة واحدة، نحو «زيد» وهو بخلاف المركب، الذي هو ما تتلفّظ به مرتين، نحو: «والد زيد».

أقسام الكلمة: اسم، وفعل، وحرف.